قراءة في ومضة "احتباس" لمحمود كامل مصطفى

بسّام جميدة، سوريا

احتباس

خشى الموت ورهبته، ظل ساكنا بلا ظل معه.

من ذا الذي يخشى الموت؟ سؤال بديهي يتبادر إلى الذهن من واقع الومضة التي دونها الكاتب هنا.. يخشاه من لايؤمن بالقضاء والقدر، ومن لا يحمل في قلبه الإيمان الكافي وزاد الطريق للحياة الأخرى، التي هي في الأصل دار بقاء، والدنيا دار فناء، إذاً هنا نحن أمام شخصية تهاب الموت. ورُب قائل: هل هناك من لا يخشى الموت مهما علا شأنه وكبر مقداره وعمل صالحاً في الدنيا، فللموت وقع على النفس البشرية التي تهفو إلى الخلود منذ الأزل؟

يتوقف الكاتب المصري محمود كامل مصطفى عند الموت بومضة فيها الكثير من الرهبة بكلمات قليلة يظهر فيها مرحلة من السكون الذي يهيمن على الإنسان من الخشيه والخوف من شيء ما، فالموت صمت، والرهبة فيها صمت، وظل تفيد الوقوف أيضاً، ويتبعها بالسكون ليبرهن على الصمت الذي يحيق بالشخصية التي أكد عليها العنوان (احتباس) حيث احتبس صوته كذلك، أو يقصد أنه قد حبس نفسه بنفسه في مكان ما.

كما يستخدم الكاتب بلغته الذكية أسلوب الإفادة من الكلمات التي تعطي أكثر من معني وتمنح النص قدرا من الجمالية واستفاد من كلمة (ظلّ) التي تعني بقى في مكانه بلا حراك، فيما تفيد (ظل) الثانية خيال الشخص أثناء النهار، مما يؤكد بدلالة قاطعة على أن الشخصية هنا قد تعمدت البقاء في عتمة مقصودة، لأن الظل لايغيب عن الشخص إلا عندما يكون في الليل أو داخل جو معتم تؤكده الجملة السابقة (ظلَّ ساكنا).

ورهاب الموت مرض مثله مثل باقي الأمراض النفسية التي قد تصيب الإنسان، والسيطرة عليه لا يكون إلا بمزيد من التسليم بالقضاء والقدر وحتمية فناء الحياة الدنيا والانتقال إلى دار الآخرة.. ولكن هل هذه الخشية هنا صحيحة؟ ومن خلال الاطلاع على القسم الثاني من النص نرى أن الشخصية هنا ومن كثرة خشيتها بقيت ساكنة بلا حراك، واختفاء الظل الذي استعاره الكاتب يدلل على السكون دون حراك. ما لذي يجعل الشخصية هنا تؤمن بأن السكون هو الأمان بالنسبة لها؟ واختفاء الظل يدلل على حبس نفسه في مكان مظلم، وهذه الصورة تشير بل تؤكد على وجود حالة مرضية لديه وأن لم يكن مرض جسدي فهو مرض نفسي بالتأكيد، والموت الذي يتهرب منه يجعله يموت أكلينيكياً، بل ويموت في اليوم عدة مرات. والومضة تدين خشية الموت أساسا، ووجود الشخصية بلا ظل - والظل هنا قد يعني حياة الشخص ذاته - يوحي بأن الومضة تقول إن الخوف الزائد من الموت يجعل

الإنسان ينغلق على ذاته وعلى خوفه ويضيّع أمام نفسه فرص الحياة ولا يساهم بشيء إيجابي فيها.

obeikandl.com